

يسألونك عن المؤتلف الإنساني!

■ حاتم الطائي

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات 13]، قاعدة ربانية أرستها الحكمة الإلهية في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو تنزيل من حكيم عليم.. وتلك القاعدة التي تركز في جوهرها ومكوناتها الأساسي على مبدأ التعارف، تفضي في نهاية المطاف إلى تحقيق التآلف والوثام، ليس بين المسلمين أو أصحاب الديانة الواحدة وحسب، بل هي في الأصل موجهة إلى الناس عامة؛ بني البشر على اختلاف جنسهم أو منشئهم أو انتمائهم العرقي أو الديني.

مقدمة

عُمان ومنذ فجر التاريخ، أدركت الحقيقة الربانية، التي على أساسها شُيّد الكون، وتأسست الحياة على الأرض، وقدّر رَجُلٌ أن يجعل له خليفة في الأرض، بهدف تعميرها لا تخريبها، وتحقيق التناسل والذرية لا لقطع السبيل أو وأد البشر..

■ كاتب ورئيس تحرير جريدة الرؤية، عُمان.

وخلال مسيرة الحضارة الإنسانية، وما بعث الله من رُسل وأنبياء، وما جعل من صالحين ودعاة للحق، أراد ربنا ﷻ أن يغرس في نفس الإنسان أنه خُلق في هذه الحياة لأجل الإعمار القائم في صلبه على العيش المشترك والتسامح. ولقد أثبتت الوقائع التاريخية أنّ العُمانيين لم يكونوا يوماً دعاة حرب ولا فتنة، ولم يغيروا على شعوب أو يحتلوها، بل كانوا نموذجاً في التعايش والانفتاح على الآخر، الآخر المختلف في العقيدة والمذهب، المختلف في اللون والشكل، المختلف في العرق والنسب، استطاع العُمانيون على مرّ التاريخ أن يندمجوا ويتألفوا مع أقرانهم ممن عاشوا وتقاسموا معهم الحياة والرزق، سواء داخل الأرض العُمانية على امتدادها، أو خارج الحدود في آسيا أو إفريقيا، أو في أي بقعة بالعالم الفسيح.

وعلى مدى 50 عاماً من النهضة المباركة التي قادها بحكمة واقتدار لا مثيل لهما، المغفور له بإذن الله تعالى جلالة السلطان قابوس بن سعيد - طيب الله ثراه - تحوّلت عُمان إلى واحة حقيقية للتعايش المشترك والتألف الإنساني، واستطاع جلالة السلطان الراحل خلال العقود الخمسة التي حكم فيها بلادنا أن يؤسس لنهج قويم؛ قاعدته الوئام والتسامح والتفاهم، 3 أضلاع لمثلث الحياة في عُمان، ظلّت راسخة ومتماسكة منذ بزوغ فجر النهضة المباركة في الثالث والعشرين من يوليو لعام 1970، واستمرت وتواصلت - بفضل الله تعالى - وبحكمة صائبة وبصيرة نافذة للسلطان الراحل ﷻ وبامتداد الرؤية الثاقبة ورسالتها في عهد جلالة السلطان هيثم بن طارق المعظم - حفظه الله ورعاه -.

الرسالة الأخيرة

ولا عجب أنّ جلالة السلطان قابوس أثر أن لا ينتقل إلى جوار ربه إلا وقد سطر رسالته الأخيرة للإنسانية، ليصنع مشروعاً عالمياً نبيلاً، يدعو إلى الوحدة الإنسانية والتماسك في مواجهة الشرور والفتن التي تعصف بالبشرية، وتهدد بتدمير الحياة على كوكبنا.. إنها دعوة لتبني أفكار إنسانية تتسع لكل فرد في المجتمع البشري على اختلاف البيئات والفئات، وقيم وروى سامقة

تسمو بالإنسان إلى المكانة التي يريدها الخالق جلّ في علاه، وموجهات حضارية تجنّب بني آدم آفات النفس وتغولات الأحقاد البشرية.

ولذا يمكن القول إنّ إعلان الشُّلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، هو مبادرة عالمية تحمل اسم صاحب الجلالة الشُّلطان الراحل؛ أراد منها جلالته أن يبعث بأخر رسائله إلى الإنسانية، بأن تتآلف وتتعاون على أسس التفاهم والوئام والتسامح، من أجل أن يعمّ السلام والخير أنحاء العالم، وتكون عُمان بؤرة التواصل الحضاري والإنساني ومركزاً لنشر روح التآخي وقيّم العدل والسلام.

**على مدى 50 عاماً
من النهضة المباركة
التي قادها بحكمة
واقترار لا مثيل لهما،
المغفور له بإذن الله
تعالى جلالته الشُّلطان
قابوس بن سعيد تحوّلت
عُمان إلى واحة حقيقية
للتعايش المشترك
والتآلف الإنساني.**

إنّنا في عُمان نملك شعوراً بالاعتزاز، كوننا نموذجاً للتعايش السلمي ودولة داعية ومرسخة للسلام ليس في إقليمنا المضطرب وحسب، بل والعالم أجمع، وما المبادرة الشُّلطانية سوى ترجمة لما أرسته الحكمة السامية لجلالة الشُّلطان الراحل من تسامح ووئام وتآلف وسلام.

ولذا مثل السلام أحد الأسس التي ارتكزت عليها بلادنا لبلوغ التنمية المستدامة؛ إذ لم نكن لنصل إلى ما وصلنا إليه من معدلات تنمية غير مسبوقة سوى عبر انتهاج سياسات السلام

والاستقرار والتنمية على مدى 5 عقود، هذا إلى جانب أسس العدل والتعاون والإخاء، وهو ما ساعد على تحقيق التنمية الشاملة في قطاعات مثل التعليم وفي جهود القضاء على الفقر.

ولقد ذكرنا في أكثر من موضع، وفي غير مناسبة، أنّ عُمان ومُنذ فجر نهضتها المباركة في سبعينيات القرن العشرين، رفعت لواء السلام والمحبة وسعت إلى تحقيق التعاون مع مختلف دول العالم من أجل إرساء الاستقرار إقليمياً وعالمياً، ودعم جهود نبذ العنف وإخماد نيران الحروب والفتن والصراعات.

قيَم راسخة

ولذلك فإننا عندما ننظر إلى القِيم التي يدعو إليها إعلان السُلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، يتضح لنا أنّها ذات القِيم التي رسّخها جلاله السُلطان الراحل رَحِمَهُ اللهُ في نفوس شعبه وباتت صفة لصيقة بكل عُماني وعُمانية أينما حلّ أو ارتحل.. فقِيم التسامح والتعايش والوئام التي يدعو إليها الإعلان، تمثل ترجمانا للشخصية العُمانية في تفردّها وتميُّزها، لا من باب النرجسية المرفوضة، ولكن من باب التوصيف الحقيقي للطبائع الأصيلة في الإنسان العُماني الذي يميّز بسمات هي محل ثناء وإعجاب من يتعاملون معه، في الداخل والخارج، قديماً وحديثاً، وليس هناك أدل على تلك الصفات الفريدة والخصال النوعية مما روي عن نبينا الكريم ﷺ في الحديث النبوي: «لو أنّ أهل عُمان أتيت ما سبّوك ولا ضربوك»، فما أقواه من برهان، وما أروعها من وصف جاء على لسان رسولنا العظيم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يُوحى.

وربما نقول إنّ ذلك الحديث النبوي ظلّ - ولا يزال - تاجاً على رأس كل عُماني وعُمانية، ولعلّ جلاله السُلطان الراحل - طيب الله ثراه - كان مدركاً لعمق معاني هذا الحديث النبوي الشريف، وعزز من إيمانه الخاص بأنّه «صاحب رسالة»، ولذا سعى إلى تأسيس منهجية رساليّة، تحقق الأهداف المبتغاة، لكتّها في الوقت نفسه ترمي إلى بلوغ مقاصد محددة الغاية والهدف. ورسالة السُلطان قابوس - عليه رحمة الله - والتي ظلّ طيلة حياته يسعى إلى ترسيخها وغرسها في نفوس كل من يلتقي بهم وقبل كل ذلك في نفوس شعبه، ترجمتها الدولة العُمانية من خلال إسهاماتها الفاعلة والرئيسية في مسيرة السلام العالمي، وهي الرسالة التي تثبتق من القِيم الأصيلة والراسخة في نفس الإنسان العُماني.

إننا إذن أمام إعلان عُماني الهوية عالمي التوجه، يستحث نزعة السلام الكامنة في نفس كل فردٍ في هذا العالم، ويحفّز على تبني نهج الوئام والتآخي والتفاهم، من أجل أن يعيش العالم في استقرار ورخاء، بلا عنف أو حرب،

بلا دماء أو دموع، بلا ألمٍ أو فقد، بلا حسرة أو مهانة، لكن يعيش في عز وهناء ورخاء وسؤدد. إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني يدعو كل فرد في هذا العالم لأن يبذل الغالي والنفيس من أجل أن يحل الاستقرار في شتى بقاع الأرض، خاصة المناطق التي تشهد توترات بين الحين والآخر.

ثلاثية الإعلان

ومشروع إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني يستند إلى 3 ثلاثيات، الأولى: الأبعاد الثلاثة؛ وهي: تحسين حياة البشر، واعتماد منظومة أخلاق

عندما ننظر إلى القيم التي يدعو إليها إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، يتضح لنا أنها ذات القيم التي رسّخها جلالة السلطان الراحل رَحِمَهُ اللهُ فِي نفوس شعبه وباتت صفةً لصيقة بكل عُماني وعُمانية أينما حلَّ أو ارتحل.

عالمية، ورعاية القيم الروحية للإنسان. وتتوازي هذه الأبعاد مع 3 مرتكزات حضارية إنسانية، تكفل إرساء التعايش والتعارف بين البشر، وهذه المرتكزات هي: العقل والعدل والأخلاق. وأخيراً 3 موجهات أساسية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسلوك البشري، وهي: تعزيز ثقافة السلام والتفاهم، واحترام الحياة وتقديرها وطمأننة الناس بالحفاظ على هويّاتهم وحياتهم الخاصة، وتعميق قيم الشراكة المجتمعية والقيم الاجتماعية.

وهذه الثلاثيات موجهة في الأساس إلى

العالم من حولنا، إذ ترمي إلى تشكيل وعي عام في مختلف الدول، مفاده أهمية إرساء قيم التفاهم والعيش المشترك والوئام، مما يسهم في بناء علاقات متوازنة بين بني البشر، علاقات يسودها السلام والإخاء، تسعى إلى المحبة وترفض الكراهية، تؤمن بالتسامح وتبغض العصبية. وإذا ما نجحنا في تحقيق تلك القيم وترجمة هذه المبادئ على أرض الواقع، فإن ذلك يكون بشري لانتهاه الحروب والصراعات، ويستيقظ العالم من سباته العميق في وهاد الانحطاط والتخلخل الأخلاقي، ويخرج إلى نور التعايش والوئام، ولأشرقت شمس السلام والمحبة فأطلقت أشعتها الدافئة داخل كل نفس تواقة للتآلف.

تتويج لمسيرة حافلة

وعندما نتذكر التوقيت الذي تمّ خلاله الكشف عن هذا الإعلان العالمي، نجد أنه تمّ اختياره بعناية فائقة، فقد تزامن الإعلان مع احتفالات بلادنا بالعيد الوطني التاسع والأربعين المجيد، وأيضاً مع الاحتفال باليوم العالمي للتسامح، وهنا تلعب الدلالة الزمنية دوراً أصيلاً في ترسيخ قيم ومبادئ هذا الإعلان، فهو توقيت يجمع بين مفردات التنمية؛ من حيث مرور 49 عاماً على مسيرة التنمية والرخاء في عُمان، وبين معاني التسامح؛ حيث يحتفل الجميع بيومه العالمي.

وذلك التزامن يُؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، أن جلالة السُّلطان الراحل، شخصية دقيقة، تمتّع رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه بحكمة منقطعة النظير، ورؤية ثاقبة فاقت توقعات الجميع.

لقد كانت مسيرة العطاء والتنمية التي وصلت لمحطتها التاسعة والأربعين، إذن، فرصة سانحة لتدشين هذا الإعلان العالمي، تأكيداً على ما تحقق من تنمية عمت أرجاء وطننا الحبيب، وتلك التنمية كانت من بين أسباب عدّة أُلقت على عاتق بلادنا مسؤولية كبرى تجاه العالم الذي نعيش فيه، ونتأثر به، وكان لزاماً أن يتأثر هو بنا أيضاً من خلال هذا الإعلان. لقد أخذ جلالة السُّلطان الراحل على عاتقه مسؤولية نشر ثقافة التسامح والوئام، داخلياً وخارجياً كما ذكرنا آنفاً.

والمُتأمل لمسيرة النهضة المباركة تحت حكم جلالة السُّلطان قابوس رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه يدرك تماماً أن جلالته ومنذ اليوم الأول، نثر بذور التعايش والإخاء في التربة العُمانية الخصبة، والمؤهلة بشدّة لنمو نبتة التسامح والوئام، وبالفعل نمت وترعرعت بفضل الرعاية السامية والوعي الوطني العام بأهمية تلك القيم الأصيلة، وكبرت النبتة وصارت نخلة سامقة يراها القاصي والداني، وقد آن الأوان لكي يجني العالم ثمارها، وليس الإنسان العُمني وحسب، فكان إعلان السُّلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، أحد ثمار النهضة المباركة، التي من بين أركانها التسامح والوئام والائتلاف.

النهضة أساس السلام

المساعي العُمانية لنشر التسامح والتعايش والائتلاف، بدأت منذ بزوغ فجر النهضة المباركة، فكانت السياسة الخارجية لعمان متفردة في رفع شعار «عمان صديقة الجميع»، فلم تقاطع عُمان يوماً دولة، ولم تُعلن الحرب على أخرى، ولم تدخل في صدامات دبلوماسية مع أي من دول العالم، حتى الذين أضروا بها أو سعوا للإضرار بمصالحها، مدّت لهم عُمان يد الصلح والعفو عمّا سلف.

المساعي العُمانية لنشر
التسامح والتعايش
والائتلاف، بدأت منذ بزوغ
فجر النهضة المباركة،
فكانت السياسة الخارجية
لعمان متفردة في رفع
شعار «عمان صديقة
الجميع»، فلم تقاطع عُمان
يوماً دولة، ولم تُعلن
الحرب على أخرى.

ولذا ليس بغريب أن تتحول السلطنة إلى قبلة للسلام ومركزاً عالمياً لصنع الاستقرار وتحقيق الوثائم بين الناس من مختلف الدول، على الرغم مما يسود العالم من لغة الحرب والشقاق، وما تتن منه الدول من اضطرابات وفوضى لم تشهدها من قبل.

ولم يكن من السهل أن تصل السلطنة إلى هذه المكانة، لولا الجهود المضنية التي بذلها جلالة السُلطان الراحل من أجل التعايش والسلام، إذ ارتكزت عُمان قابوس على قيمها الأصيلة لكي

تنشر السلام، فحازت إعجاب وثقة العالم أجمع، ووصفها كثيرون بأنها «سويسرا الشرق الأوسط»، لما تتمتع به من حيادية، فكانت بلادنا محط أنظار القوى العالمية التي تسعى إلى وأد الصراعات أو التوصل لحلول في أي مُعضلة عالمية، والأمثلة معروفة للجميع وعديدة في هذا الجانب، بدءاً من مفاوضات الملف النووي الإيراني التي انتهت بتوقيع اتفاق نووي تاريخي بين إيران والقوى العالمية، مروراً بمباحثات السلام في اليمن وليبيا وسوريا، وغيرها من الدول، وليس آخراً جهود دعم الأشقاء والأصدقاء في مختلف الدول.

وعندما نتطرق إلى مسألة تزامن إعلان السُلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، مع احتفال الدول باليوم العالمي للتسامح، يتضح أن اختيار التوقيت



كان مناسباً وملائماً لعدة أسباب؛ أولها توظيف الزخم العالمي المصاحب لفعاليات كهذه؛ حيث تتجه أنظار العالم نحو مثل هذه المناسبات، التي عادة ما تشهد حضوراً مكثفاً من زعماء دول العالم وقادة المنظمات الدولية المعنية، وغيرهم، الأمر الذي يوفر فرصة سانحة للكشف عن أي مبادرة دولية، ولم يكن الوقت أنسب من اليوم العالمي للتسامح كي يتم تدشين إعلان السُلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، وهو الحدث الذي تابعه ملايين البشر في مختلف دول العالم.

ميثاق دولي

وإعلان السُلطان قابوس للمؤتلف الإنساني يمكن أن يمثل قاعدة انطلاق نحو وضع ميثاق عالمي لتحقيق التآلف المشترك والوئام بين بني البشر، وبما يدعم التقدّم الإنساني في مختلف المجالات، دون حروب أو نزاعات، وئام يقوم على المحبة، وتآلف يرتكز إلى الفهم المشترك بين المجموعات الإنسانية، على اختلاف العرق أو الدين أو المكان. وهذا الميثاق العالمي إذا ما اجتهدت الدول المحبة للسلام والإخاء فسيكون ميثاقاً شبيهاً بالميثاق العالمي لحقوق الإنسان، وغيرها من المواثيق الدولية، التي أجمعت عليها دول العالم، ولا يساورني أدنى شك في أن العالم سيقبل بميثاق المؤتلف الإنساني إذا ما خرج إلى النور في بنود واضحة وصيغ متفق عليها.

إن ما ينقص العالم من أجل تحويل إعلان السُلطان قابوس للمؤتلف الإنساني إلى ميثاق عالمي، هو الاتفاق على كلمة سواء تقضي على نقاط الاختلاف وتؤسس لفكر التفاهم والعيش المُشترك، ومن ثم تبني بنود الإعلان وأهدافه، وتطبيقها بصورة عملية في واقعنا الذي بتنا نخشى عليه من المُستقبل، في ظلّ ما يموج به العالم من مُتغيرات، سببها الحروب والمجاعات والفتن والصراعات المسلحة، وتوترات بين الفينة والأخرى.

إن عُمان إذ تدعو إلى إرساء التعايش والتفاهم والوئام، لتقدّم تجربتها المتقدّمة للغاية في التعايش السلمي، وهذا ليس بحالٍ من الأحوال

رؤية السلطنة وحسب، بل هذا ما أجمعت عليه المؤشرات الأممية والتقارير الدولية التي تتناول عُمان في مختلف المجالات، وأبرزها وأهمها هنا هو التقارير الخاصة بالتعايش والسلام والوئام في المجتمع العُماني. وما كانت هذه الصفات لتتحقق على الأرض العُمانية وتترسخ داخل الشخصية العُمانية، إلا بفضل السياسات الحكيمة التي أرسى دعائمها جلالة السُّلطان المؤسس للنهضة المباركة الحديثة، السُّلطان قابوس بن سعيد بن تيمور - طيب الله ثراه. فجلالته ومنذ اليوم الأول الذي تولى فيه مقاليد الحكم في بلادنا عُمان، أعلنها صراحة وبوضوح، أنه سيسعى بكل جهد إلى تحويل

عُمان إلى دولة عصرية متطورة، وقد كان له ما أراد، وأنجز ما وعد به، ولله الحمد، وقاد تنمية شاملة عمّت أرجاء عُمان من أقصاها إلى أقصاها، ونهل من خيراتها كل من عاش على هذه الأرض الطيبة.

ومن هنا كان منطلق السُّلطان الراحل في نشر السلام، إذ كانت عقيدته رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ السَّلامَ يحتاج أولاً إلى تنمية تُشعر المواطن بمواطنته، وتغرس في نفسه حب الأرض والولاء للوطن وقائده، فكانت التنمية هي العمود الفقري لإفشاء ثقافة السلام والوئام والتعايش بين مختلف مكونات المجتمع العُماني الثري في تنوعه.

**خلال 5 عقود من النهضة
والبناء والتشييد، نجح
السُّلطان قابوس رَحِمَهُ اللهُ
في بناء الإنسان العُماني،
الذي مثّل هدف التنمية
وغايتها، فانتشرت المدارس
ومؤسسات التعليم العالي،
لتخرّج سنوياً أفواجاً من
الطلاب والطالبات في
مختلف التخصصات والعلوم.**

فخلال 5 عقود من النهضة والبناء والتشييد، نجح السُّلطان قابوس رَحِمَهُ اللهُ في بناء الإنسان العُماني، الذي مثّل هدف التنمية وغايتها، فانتشرت المدارس ومؤسسات التعليم العالي، لتخرّج سنوياً أفواجاً من الطلاب والطالبات في مختلف التخصصات والعلوم، وهي كوادِر وطنية مؤهلة لسوق العمل، تحمل أرفع الشهادات، وتتمتع بأفضل المهارات العملية. وبالتوازي مع جهود بناء الإنسان، تطورت منظومة الحياة وتسارع إيقاعها، وتجلّى ذلك في النهضة المؤسساتية التي شهدتها الدولة، في مختلف وحدات الجهاز الإداري لها، وأيضاً في



الأجهزة الأمنية والعسكرية، والتي تكافض جهودها جميعاً، من أجل بناء الوطن العُماني المتطور والمُسلَّح بالعلم والمعرفة، تحميه مؤسسات وطنية مخصصة تنشر بساط الأمن والأمان وتدعم جهود الاستقرار والرخاء، وفق سياسات حكيمة وتوجيهات سديدة من القائد والموجه سلطان البلاد.

ولعل النقطة الأبرز التي يجب الوقوف عندها والتأمل في معانيها وانعكاساتها بل ومآلاتها، هي أنّ التنمية الشاملة التي نتحدث عنها قامت في كينونتها على أسس العدالة والتعاون وتضافر الجهود، فما من منظومة حُكم لا تتخذ العدالة منطلقاً لها إلا وفشلت وأخفقت، لكن منظومة الحكم القابوسي القويمة والنهج السامي المتفرد لجلالة السُّلطان الراحل، كان العدل فيها عمود خيمتها، وحجر الزاوية الذي ارتكزت عليه التنمية وشيّد بنيانها الشامخ، فكانت الدولة العُمانية الحديثة، دولة العدل والإخاء، تجسدت فيها معاني التفاهم والتعايش، فتحققت التنمية وعم الرخاء أرجاء الوطن.

الشخصية العُمانية

وعندما ننظر إلى إعلان السُّلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، نكتشف أنّه يتكئ في كنهه وأصله على سمات وطبائع الشخصية العُمانية، تلك الشخصية المُحبة للسلام والمائلة للتعايش المشترك، منذ فجر التاريخ، وكُتب الأولين وما دونه الرحالة عبر الأزمنة تُبرهن على ذلك، وعندما دخل العُمانيون في الإسلام تبلورث لديهم رؤية أعمق للعالم من حولهم؛ فكانوا رُسلَ سلام ومحبة، ونشروا الدين الحنيف في أرجاء العالم، خاصّة في شرق آسيا؛ حيث كانت طريق تجارتهم إلى حضارات العالم القديم في الصين وما جاورها؛ فاستطاع العُمانيون بصفاتهم الطيبة أن يُقيموا علاقات تجارية ووشائج نسب وصهر مع تلك البقاع من أرض الله.. وعلى مدى القرون والعصور، ترسّخت هذه الطبائع التي اكتست وتزينت بالأخلاق الإسلامية الحميدة.

وبتلك السمات والطبائع، صنّع العُمانيون حضارةً راقية، وتوسّعت الإمبراطورية العُمانية في الشرق الإفريقي وفي شرق آسيا كذلك؛ استناداً

لما نشره العُمانيون من قيَم ومبادئ وأخلاق حميدة، لا ارتكازاً على السيف أو البندقية!

رسالة الدولة الحديثة

إنَّ عُمان وهي تدعو للسلام والوثام، تتمثّل مقولة السلطان الراحل قابوس بن سعيد بن تيمور - طيبَ الله ثراه - حينما قال إنه «صاحب رسالة»، ومثل هذا القول يعكس - ويكشف في الوقت نفسه - ما كان يؤمن به جلالة السلطان الراحل رَحِمَهُ اللهُ من أفكار سامية ظلَّ طيلة خمسة عقود في

إنَّ عُمان وهي تدعو للسلام والوثام، تجسّد مقولة السلطان الراحل قابوس بن سعيد بن تيمور - طيبَ الله ثراه - حينما قال إنه «صاحب رسالة»، ومثل هذا القول يعكس - ويكشف في الوقت نفسه - ما كان يؤمن به جلالة السلطان الراحل رَحِمَهُ اللهُ من أفكار سامية.

الحكم مُتمسّكا بها، قابضاً عليها، ساعياً في كل لحظة وأوان لأن يُطبّقها في الداخل والخارج، وبعدما نجح جلالته - رحمة الله عليه - في غرس الأفكار السامية النبيلة في نفوس مواطنيه، سعى إلى نشرها حول العالم؛ فكانت العديد من المبادرات السلطانية التي عمّت أرجاء البلاد، فهُنالك جائزة السلطان قابوس - اليونسكو لحفظ وصون البيئة، وهناك كراسي السلطان قابوس العلمية، إلى جانب مجموعة من الجوائز السلطانية والمكرّمات السامية التي استفاد من خيرها العالم.

إذن، رسالة الدولة العُمانية تبلورت وتحققت عبر كل هذه المبادرات، وكان إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني دُرّة التاج، التي أضأت للبشرية بريقها الأخاذ سبل التعايش والتفاهم والوثام.

وتلك الرسائل عكست في جوهرها رؤية فلسفية عميقة المعنى واسعة الدلالات، رؤية تقوم على أهمية توحيد العالم تحت راية التفاهم والتسامح والوثام؛ لأنَّ المشترك الإنساني بيننا أكبر بكثير من المختلف عليه؛ فكلنا هدفنا العيش في سلام وأمان، وتحقيق النماء والرخاء لشعوبنا.



الخاتمة

إنَّ إعلانَ السُّلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، ينبغي أن يكون نبراساً تهتدي به الأمم في عالم اليوم؛ ذلك العالم الذي مزَّته الحروب والفتن، وأنهكته التوترات والمعارك الجانبية، فغفلت الحكومات عن جادة الصواب، وضلَّت طريقها، وفي الأثناء فقد الإنسان نفسه، وأخذ يبحث عنها في غير مواضعها الصحيحة؛ فعاشوا في الأرض فساداً وإفساداً، وأخذوا يُدمِّرون الكون من حولهم، كالوحوش المفترسة، الباحثة عن الكلاً والعشب لا غير، ونسوا إنسانيتهم وتلاشت قيمهم..

لذا؛ نُؤكِّد مجدداً على أن هذا الإعلان يجب أن يُشكل الركيزة الأساسية في نهضة العالم خلال العقود المقبلة، وأن يكون قنديلاً من نورٍ لا تنطفئ شمعته، ولا يتلاشى وهجه؛ كي يعم السلام والاستقرار في هذا العالم، فهو ليس فقط إعلاناً للمؤتلف الإنساني، بل إعلان الأمل الإنساني، والحلم العالمي في بناء غدٍ أفضل.. وبإذن الله سيكون ما أراد له جلالته السُّلطان الراحل، ليكون ميراثه الحي في العالم حتى قيام الساعة.